

مفهوم التجديد وأنسنة الدين في فكر محمد حسين فضل الله

الأستاذ الدكتور

نعمة محمد ابراهيم

الباحثة

أنوار كاظم مهدي الشامي

جامعة الكوفة - كلية الآداب

ملخص البحث

عندما نريد أن نتناول موضوع الدين والإنسان في فكر محمد حسين فضل الله فإننا نختار من أي زاوية نقارب هذا الموضوع ، لأنه في كل الموضوعات التي طرحها وفي كل القضايا التي عمل لأجلها كان الدين قضيته بالقدر الذي كان الإنسان قضيته ، حتى بدا وكأن معنى وجوده في الحياة لا يتحقق إلا حين يستطيع أن يحقق الإسهام الأكبر في التخفيف من آلام الإنسان وفي تطهير الفكر الديني على كل المستويات من الشوائب التي تشكك بمصادقية الجوهر الإنساني للدين على ضوء ما شهدته التاريخ ويشهده الحاضر من ظواهر عنصرية وإلغائية وتكفيرية واستثنائية وخرافية وأسطورية ألصقت وتلصق بالدين..

لم تكن إنسانية محمد حسين فضل الله مطروحة للاستهلاك السياسي أو الاجتماعي كما يفعل الكثيرون من الناطقين باسم الأديان والمذاهب في سوق المجاملات الرسمية ، أو ثانوية تبسيطية ساذجة . بل عاشها همأ وقلقاً وجودياً معرفياً واجتهاداً فقهياً وحواراً شاقاً ونقداً عميقاً ومعاناة قاسية وجهاداً دائماً في كل ميادين الحياة العلمية والفكرية والسياسية والاجتماعية والتربوية.

فانطلق محمد حسين فضل الله في رؤيته الكونية من قاعدة أن الدين جاء لخدمة الإنسان في مقابل أولئك الذين يتصورون العكس أي أن الإنسان هو الذي جاء من أجل أن يخدم الدين ليحولوا بذلك إلى ما يشبه الموجود الوثني الذي يتعبد الناس لاسمه. ذلك أنه رأى في الدين دعوة إلى الحياة كما في قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا

لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ﴿٢٤﴾ (سورة الأنفال ، الآية ٢٤) ، وما دام الدين جاء لخدمة الحياة ، فقد جاء ليعلم الإنسان الذي هو عنوان الحياة .. والحياة هي نحن وهي الحياة المتكاملة التي تحتزن عقلاً وإرادة وإحساساً وشعوراً بما يمنح العنوان الإنساني الموقع الأكبر في هذا الوجود من خلال منحه القدرة على إمكانية احتواء هذا العالم بأكمله.

المقدمة

يعتبر محمد حسين فضل الله أحد رواد الإصلاح والتجديد في الفكر الإسلامي المعاصر ، عمل على تفعيل حركة التجديد وإبرازها في الفكر المعاصر ، وكان هاجسه هو تنقية الفكر الديني من البدع والخراف التي لصقت به ، وذلك نتيجة تطور الأحداث والمستجدات التي تطرأ على واقع الحياة الإنسانية ، لذلك عمل فضل الله على تجديد الفكر الديني ليكون بذلك الفكر الديني متكيفاً مع ما يطرأ على واقع الحياة الإنسانية من مستجدات وتطورات للأحداث ، لأن الإسلام يمتلك روح التحدي والقوة التي تواجه كل الجهل والتخلف ، فالإسلام جوهر ثابت ومتجدد ويفيض بالتجدد وكل ما من شأنه أن يحافظ على أصله ويتناسب مع واقعه. وكما اهتم فضل الله اهتماماً كبيراً بإبراز الجانب الإنساني من الدين ، لأن الجانب الإنساني هو الجانب الأكثر أهمية ، لأن الدين جاء لخدمة الإنسان ولم يأتي الإنسان لخدمة الدين ، لم يكن تجديد محمد حسين فضل الله بعيداً عن الواقع ، بل كان محاكياً للواقع متفاعلاً معه متحسناً مشاكله ، فربط بذلك بين الدين والواقع كي لا يكون الدين الإسلامي بعيداً عن واقع الحياة الإنسانية ، بل ملتصقاً بها متحسناً مشاكلها مقدماً الحلول لها في صورة أكثر واقعية وفاعلية ، لذلك كان محمد حسين فضل الله في كل الموضوعات التي طرحها وفي كل الموضوعات التي عمل لأجلها ، كان الدين قضيته بالقدر الذي كان فيه الإنسان قضيته وذلك للتخفيف من الآم الإنسان ومعاناته ولتطهير الفكر الديني من كافة الشوائب التي لصقت به .. لذلك جاء هذا البحث في بيان مفهوم التجديد وأنسنة الدين في فكر محمد حسين فضل الله وجاء هذا البحث مقسم إلى مطلبين ، المطلب الأول جاء بعنوان مفهوم

التجديد في فكر محمد حسين فضل الله ، اما المطلب الثاني فقد حمل عنوان أنسنة الدين في فكر محمد حسين فضل الله . . اما المنهج المتبع في هذا البحث كلاً من المنهج الوصفي والمنهج التحليلي .

المطلب الأول: مفهوم التجديد في فكر محمد حسين فضل الله

انطلاقاً من الرسائل السماوية التي تريد الإصلاح حرص محمد حسين فضل الله على التجديد ، وعلى أن لا يستكين لما كان عليه الآباء والاجداد ، فكانت دعوته الى المجتمع أن يفكر وأن لا يرضخ لضغوط الامر الواقع ، فلا بد من أن يكون الإنسان حراً في كل خطواته وحرراً حتى في قعر السجون ، لأن الحرية الكبيرة هي الحرية التي تنبع من داخل الانسان (١) .

فكانت الجراءة هي العنوان الرئيس الذي امتلكه فضل الله ليخرج من الموروث الديني غير المقدس والثقافي الى الفكر الحركي المجدد في الاسلام دون أن يتخلّى عن الأسس ، فقد تميز بجراته على مراجعة كثير من الثوابت التي تحد من حريات المسلمين وتحد من حركتهم وقدرتهم على التأقلم مع عناصر الحياة لذا بحث في الواقع النفسي والسياسي والإنساني الذي يتحكم بمواقف الافراد وسلوكياتهم مما جعل اجتهاده رحيماً ومسهلاً للحياة (٢).

إذ ذهب محمد حسين فضل الله الى أن التفكير وتصوّراته ومفاهيمه ومقولاته ومناهجه ومنطقه هو هدف التغيير الاول والمركزي (٣) وذلك مصداقاً لقوله تعالى :

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾ (٤)

ويفرّق فضل الله بين تجديد الإسلام وتجديد الفكر الإسلامي فيقول: ((إننا نفرّق في المسألة الفكرية في هذا السؤال بين تجديد الاسلام وتجديد الفكر الإسلامي إن تجديد الاسلام شيء لا معنى له ، لأن الله سبحانه وتعالى أرسل الاسلام كحقيقة مطلقة في مسألة الثبات على أساس أنه وحي الله وكلمته الفاصلة ؛ ولكن فهمنا للإسلام يتمثل في الحركة الإجتهدية للإسلام العقيدي والشرعي والمنهجي والحركي)). (٥)

ويعرض العلامة فضل الله دعوى من يقول بأن الاسلام يجب أن يتطور ويتغير بحسب التطور في الفكر والعلم وأساليب الحياة وطبيعة العلاقات الإنسانية ، على أساس

إنّ الاسلام وليد مرحلة معينة تختلف حاجتها وطريقة تفكيرها عن حاجتنا وطريقة تفكيرنا ، فكان التشريع خاضعاً لتلك الحاجات وأساليب التفكير منطلقة من تلك الطريقة ، فلا بدّ أن ننفض عنه غبار السنين ونأخذ أهدافه ونطوّر وسائله وأن لا نتجمّد أمام حروفه ، ويتحوّل الاسلام من فكر تفصيلي الى فكر عام ، ومن شريعة شاملة الى شريعة موحية ، وهكذا يشعر الانسان أنّ الدين ليس قيّداً يشلّ حركته ويقيّد خطواته في طريق التقدّم والتطور بل هو حركة منطلقة شاملة ، ويردّ السيد فضل الله على الدعوى بأنّ الاسلام ليس حكاية من حكايات التاريخ الذي يقف في مواقع معينة محدداً نقطة الانطلاق وبعد ذلك يغيب في الضباب ، بل هو وحي الله ، وهذا هو اعتقاد المسلمين الذين يؤمنون بالإسلام ، الدين ، الوحي ، القرآن ، النبوة ، اليوم الآخر التي تتحرك من خلال اردادة الله ، لانه الدين الذي لم يفسح المجال لأي دين بعده(٦).

وكما يعارض محمد حسين فضل الله (كلمة التجديد الديني) لأنّ الدين حق ، وما هو حقّ لا يتغيّر ، وهو ما اشار إليه بقوله : ((انا لا افهم كلمة التجديد الديني ، فالدين في عمقه لا بدّ أن يبقى كما أرسله الله في صفائه ، وربما كان علينا ان ندرس الدين باستمرار ولا نكتفي بدراسة الأقدمين ، فلقد كانت لهم ذهنياتهم الثقافية ، وكانت لهم تأثيراتهم الفكرية وكانت لهم روايتهم ، وكانت لهم نقاط ضعفهم ونحن نحترم الاقدمين ، ولكنهم ليسوا معصومين ، ذلك أنّ كل العلماء يخطئون ويصيبون ، فالعلماء السابقون انفسهم كانوا ينتقدون من قبلهم ، فلماذا لا يجوز لنا أن ننقدهم؟؟(٧).

ويوضح العلامة فضل الله مفهوم التجديد بقوله : ((ليس معنى الجديد في الفكر الإسلامي أننا نجدد الاسلام ، لأنّ الإسلام جديد في كلّ زمان وفي الحقائق التي ينطلق بها ولكننا نجدد فهمنا للإسلام وطريقتنا في تحليل الفكر الإسلامي وفي دراسته)) (٨) .
فالتجديد هو محاولة جديدة لفهم التراث وتطويره على أساس القواعد الأصيلة للإبقاء على أصالة التجربة التراثية في فهم الأحداث ، ومواجهة التيارات المطالبة بإلغاء التراث من ثقافتنا ، والبدء في إنتاج فكر جديد يتناسب مع الواقع ليكون تراث المستقبل(٩)

ويقول العلامة فضل الله واصفاً منهجه التجديدي: ((انا من الناس الذين يحاولون أن يعيشوا عصرهم لا من جهة عقدة العصر، لكن من خلال أنني أتطلع الى المستجدات في العصر التي تنطلق من تطور العلم والنظريات التي يستنبطها المتخصصون ، لأنني اثق بالعلم عندما يحصل من اليقين)) (١٠) .

ويؤكد العلامة على عدم الخوف من التطوير والتقدم الذي يمس حياة الناس ولا يتعارض مع الاسلام: ((نحن لا نخاف من التطوير الذي يتناسب والخطوط الإسلامية لمجرد الخوف من فتح باب التطور الذي يمكن أن يتجاوز الخطوط الإسلامية لأننا نتصور عندما يكون هناك فئة طليعية إسلامية من العلماء الواعين المنفتحين على قضايا العصر ، إن هؤلاء لهم يثكلوا حماية وضماناً لعدم الانحراف)) (١١) .

إذاً إننا مع الحداثة التي لا تمس الجوهر ولا تمس المضمون فربما كان في الحاضر شيء أكثر رجعية مما كان في الماضي ، وقد آن لنا أن نغربل شعاراتنا وأن ندرس الشعار في مضمونه الفكري والسياسي لنضع فاصلاً بين كلمات يراد بها باطل وكلمات يراد بها الحق (١٢) .

لذا فمن الضروري أن لا نتجمد عند الماضي بل يجب أن نبصر المستقبل فيقول: ((إن لا نتجمد في الأمور النظرية التي وقف عندها القدماء ، فللقدماء فكر، ولنا فكر، والقدماء غير معصومين، ولهم وجهة نظر، ولنا وجهة نظر، والمهم كم ترك الاول للآخر، لأن القدماء سواء كانوا فقهاء أو متكلمين يختلفون مع بعضهم ، فلماذا لا يكون لنا حرية أن نختلف معهم)) (١٣) .

لذلك فإن ((عملية الاجتهاد يمكن أن تخضع للتجديد ، لا على أساس أن يكون التجديد عنواناً للبحث عن الجديد ، لأن القديم أصبح مملاً ؛ ولكن على أساس نعطي الفرصة لانتقاد التجارب الفكرية أو الفقهية في فهم الاسلام في محاولة جديدة لفهم يكتشف عناصر الخطأ في الفهم السابق ، كما يكتشف عناصر الصواب ، وليبقى ما كان صواباً في نطاق حركة الاسلام في الإنسان ويغير ما كان خطأ في هذا المجال)) (١٤) .

كما لا مقدس عند العلامة فضل الله سوى القرآن الكريم والسنة النبوية الصحيحة ، وعبر السيد عن ذلك: ((فنحن لا نعتبر مجرد وجود الانسان في الماضي يجعله مقدساً ، بل نقول إن المقدس عندنا هو النبي (ﷺ) والائمة (عليه السلام) والقرآن والسنة النبوية

الشريفة، إنَّ المقدس هو الشيء الذي يمثّل أصالة الحقيقة في نفسه واصالة الحقيقة في وعي الناس، بحيث يلتقي عليه الناس وكلّ ما عدا ذلك ، أي كلّ ما لا يمثّل أصالة حقيقة فهو غير مقدس)) (١٥).

ودعا الى ضرورة دراسة مناهج التفسير، ليكون لنا فهما الخاص عنها: ((علينا عندما نريد أن نفسّر القرآن أن ندرسه دراسة جادة ، وأن نفهم القرآن وندرس مناهج التفسير دراسة نقدية ليكون لنا من بعدها فهما للقرآن ، فقد نكتشف خطأ في ذلك ، وقد نكتشف انحرافاً في فهمهم ، وقد نكتشف تخلفاً ، فقد يملك بعض الناس العلم الكبير، ولكنهم يملكون ذهنية تقليدية ، إنَّ علينا أن نفهم القرآن فهماً عميقاً لا أن نعيش عقدة الجدة ، ولكن ان نعيش استقلالية الفهم ، وعلينا أن نفهم السنة النبوية الشريفة فهماً جديداً ونفهم ما يأتي من احاديث أئمة اهل البيت (عليه السلام) وأن ننقي الاحاديث ، لأنَّ هناك ركائماً من الأكاذيب ومن المواضيع التي دخلت الى واقع الناس واصبحت حقائق)) (١٦).

اذ إنّ الأزمة الحضارية التي تعيشها الأمة ليست وليدة هيمنة وسيطرة الاجنبي على الأمة فحسب ، بل على ما تفرزه عقلية وسلوك الشخصية الإسلامية من أزمات ومظاهر تخلف تمثّل الجزء الاكبر من مكونات هذه الامة ، لذا جاءت حركة التجديد للسيد فضل الله تسعى لتوفير العلاج من خلال خلق عناصر المكافحة للمعوقات الفاعلة في طرفي معادلة تجديد الشخصية الإسلامية التي تتحمل أعباء التجديد الحضاري للأمة ، هذه المعادلة لها طرفان الطرف الاول يكمن في التربوي المصلح الذي يؤسس معايير وقيم التجربة الإيمانية ، الأشمل من معايير التفكير الجامد ، بل المفتوح على الدين في آفاقه الأخلاقية والفلسفية والعرفانية .

والطرف الآخر من المعادلة هو الفضاء الذي يؤهل الشخصية الإسلامية الراهنة القلقة للإقبال على هذا المجدّد التربوي الباني لها ، إنّ بناء الشخصية الإسلامية التي تستند الى الإيمان المعقلن وسيادة روح الحكمة ، والتجربة الحكيمة من حراك الأمة الحضاري سوف يفضي الى اتساع الآفاق وتسلّح الرؤى بمعايير تمكّنها من تقديم قراءات ومفاهيم متنوعة عن نظرتها الى دور الدين في الحياة ويسهم في تغذية التجربة الدينية(١٧) .

إنّ التوازن بين الانفتاح والأصالة التي عمل بها السيد فضل الله كانت أولى علامات نجاحه الباهر فتمكن من المحافظة على مبادئه وقيمه وأفكاره ورؤيته الإسلامية من جهة والانفتاح على التيارات الدينية والفكرية من جهة أخرى نتيجة لما تحلّى به من روح متسامحة وتشبّه بقيم أخلاقية سامية أثارت إعجاب معتنقي هذه التيارات قبل غيرهم مما أسهم باستقطاب الآخر في الوقت الذي لم يجامل فيه على حساب ما يعتقد أو يؤمن به في عملية شاقة لم يُوفّق لها إلا عددٌ يسير جداً من الشخصيات (١٨) .

ولذا فإنّ التجديد عند العلامة فضل الله ليس مجرد خطابات بل هو ممارسة مستديمة ومستمرّة لاستتطاق النصوص الشرعية ومواكبة مستجدّات العصر بعقلية منفتحة تواصلية ليتمكن من تفعيل مبدأ الاجتهاد ، الذي يُعتبر الجسر المعرفي الذي يربط بين النص الخالد ووقائع العصر المتبدلة والمتحركة باستمرار ، لذا التجديد كفعل معرفي هو إعمال للعقل بشكل دائم ، وإطلاق طاقة الفكر من دون أي قيد أو شرط وملاحقة واعية ودائمة لمكاسب العصر ومنجزات الحضارة (١٩) .

المطلب الثاني : أنسنة الدين في فكر محمد حسين فضل الله

عندما نريد أن نتناول موضوع الدين والإنسان في فكر محمد حسين فضل الله فإننا نختار من أي زاوية نقارب هذا الموضوع ، لأنه في كل الموضوعات التي طرحها وفي كل القضايا التي عمل لأجلها كان الدين قضيته بالقدر الذي كان الإنسان قضيته ، حتى بدا وكأن معنى وجوده في الحياة لا يتحقق إلا حين يستطيع أن يحقق الإسهام الأكبر في التخفيف من آلام الإنسان وفي تطهير الفكر الديني على كل المستويات من الشوائب التي تشكك بمصادقية الجوهر الإنساني للدين على ضوء ما شهدته التاريخ ويشهده الحاضر من ظواهر عنصرية وإلغائية وتكفيرية واستتصالية وخرافية وأسطورية ألصقت وتلصق بالدين..

لم تكن إنسانية محمد حسين فضل الله مطروحة للاستهلاك السياسي أو الاجتماعي كما يفعل كثيرون من الناطقين باسم الأديان والمذاهب في سوق المجاملات الرسمية ، أو ثانوية تبسيطية ساذجة . بل عاشها همّاً وقلقاً وجودياً معرفياً واجتهاداً فقهياً وحواراً شاقاً ونقداً عميقاً ومعاناة قاسية وجهاداً دائماً في كل ميادين الحياة العلمية والفكرية والسياسية والاجتماعية والتربوية.

فانطلق محمد حسين فضل الله في رؤيته الكونية من قاعدة أن الدين جاء لخدمة الإنسان في مقابل أولئك الذين يتصورون العكس أي أن الإنسان هو الذي جاء من أجل أن يخدم الدين ليحولوا بذلك إلى ما يشبه الموجود الوثني الذي يتعبد الناس لاسمه (٢٠) ، ذلك أنه رأى في الدين دعوة إلى الحياة كما في قوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾ (٢١) ، وما دام الدين جاء لخدمة الحياة ، فقد جاء لخدم الإنسان الذي هو عنوان

الحياة .. والحياة هي نحن (٢٢) وهي الحياة المتكاملة التي تحتزن عقلاً وإرادة وإحساساً وشعوراً بما يمنح العنوان الإنساني الموقع الأكبر في هذا الوجود من خلال منحه القدرة على إمكانية احتواء هذا العالم بأكمله.

ويقول محمد حسين فضل الله : ((أنا أهتم بالإنسان واهتم به من خلال محبتي لله ، لأن الخلق كلهم عيال لله ، وأحبهم إلى الله انفعهم لعياله)) (٢٣) .

لذا فإن محمد حسين فضل الله لا يستطيع أن يشعر بإنسانيته إلا مع الإنسان الآخر فيقول: ((أنا أشعر أن إنسانيتي تشمل كل إنسان يتألم ويفرح ويضل ويهتدي ، ويفسق ويتقي من أجل أن أحضن إنسانيته في داخل إنسانيتي ، لأعطيه الفرح عندما يعيش الحزن ، والهدى عندما يعيش الضلال ، والتقى عندما يعيش الفسق)) (٢٤).

مارس محمد حسين فضل الله هذا الالتزام الإيماني بالإنسان كنهج يحقق فيه إيمانه بما يبعثه في نفسه من طمأنينة وسلام وراحة . فيقول: ((إنني إشعر عندما أعطي من إنسانيتي للإنسان الآخر ما يحتاجه فإنني آخذ منه الكثير عندما ترتاح إنسانيتي وتطمئن وتهللاً وتغفو بالسلام.. لأنها أعطت كل ما عندها ليقى مع الإنسان الآخر)) (٢٥).

في كل هذا الحنو الكبير على الإنسان كان رهان محمد حسين فضل الله كبيراً على هذا الإنسان بوصفه صنع الله والمؤمل لخلافته . لذا لم يكن متشائماً بمستقبل الإنسان ، بل كان مؤمناً بقدرته على تجاوز ضعفه وجهله وانحرافه ولا مبالاته وشره وتطلعه ليكون خيراً مؤمناً عالماً قوياً مستقيماً.

يقول فضل الله : ((كنت أردد وما زلت أن هناك نبعاً من الخير والإيمان في أعماق كل إنسان ، ولكن المشكلة إننا لا نعرف كيف نفجر هذا النبع .. ونزيل عنه ما أحاط به

من تراكمات .. وأعتقد أن أكثر الناس جريمة وشقاوة يحمل في نفسه شيئاً من الخير ، ولذلك علينا أن نستثير هذا الخير بالأسلوب الطيب والكلمة الطيبة والموعظة الحسنة)) (٢٦).

وبذلك أنصب كل توجه محمد حسين فضل الله الديني - الإنساني نحو ((أنسنة الدين)) ، وذلك استناداً إلى الآية الكريمة ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ ﴾ (٢٧) - حتى بلغ في وصفه لهذا التكريم مبلغاً جعله معياراً لصحة أي حكم إسلامي أو بطلانه.

يقول فضل الله في هذا المجال : إن الله جعل عنواناً كبيراً للإنسان في القرآن . تمثل في قوله تعالى ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ ﴾ (إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً) (٢٨) ومن هنا فإن الإسلام جاء من أجل أن يكرم الإنسان . ونستطيع أن نجعل هذا عنواناً كبيراً يحكم على الأحكام الإسلامية ، فكل حكم لا يكرم الإنسان في إنسانيته ليس من الإسلام . وكل حكم ينطلق من قاعدة إسلامية اجتهادية يتحرك في خط الكرامة الإنسانية المتحركة في دائرة العبودية لله يمكن أن يكون حكم الإسلام (٢٩).

كما يرى محمد حسين فضل الله الإنسانية فضاءً واسعاً يمتد ويتسع للجميع ، ولا يمكن أن يختصرها جماعة أو شعب ، وألتزم بذلك بقول أمير المؤمنين (عليه السلام) ((الناس صنفان : إما أخ لك في الدين أو نظير لك في الخلق)) . على خلفية أن الله خلق الإنسان كأسنان المشط ، فأمن بطهارة كل إنسان ، فيقول: ((لأنني لم أجد دليلاً شرعياً على نجاسة أحد)) (٣٠) حيث رأى أن مهمات الدين ليست تنجيس الناس أو الخط من شأنهم وإنما أعمالهم وأفكارهم ومواقفهم هي التي تحدد مكانتهم وقيمتهم في الحياة ، ما جعله يوسع دائرة الإنسان الطاهر لتشمل الدائرة الأوسع وهي الدائرة الإنسانية الشاملة (٣١).

وعلى أساس هذا الفهم اعتبر محمد حسين فضل الله أن العدل هذه القيمة الإنسانية الكبرى هي غاية إرسال الرسل ، وأن الهدف من الحياة عند الله أن يقوم الناس بالقسط ، وذلك من دون أن يميز بين عدل إسلامي وعدل غير إسلامي فيقول: ((لأن العدل للناس كلهم سواء كانوا مسلمين أو غير مسلمين)) (٣٢) حتى أنه رفض كل فكرة تبيح ظلم غير المسلمين ، وأعلن وقوفه ضد الظالم المسلم لمصلحة المظلوم غير المسلم لأن الله

كما يقول السيد فضل الله أراد لنا أن نتحرك بالعدل كله لكل الناس وبالخير كله لكل الناس (٣٣).

ولأجل ذلك حارب بكل شدة كل فكرة ((إسلامية)) تبيح الاعتداء على أمن غير المسلمين وأموالهم، وكان يؤلمه بشدة أن يبرر بعض المسلمين في الغرب ارتكابهم ذلك . فعمل على أن يبرر الشرعية الإسلامية عن كل فعل يؤذي الناس والأمن .

لقد وجه إليهم محمد حسين فضل الله نداءاته ، وأطلق فتاواه فكان يقول لهم: ((كونوا الأمناء على أموال الناس هناك ، أنه لا يحل لكم أن تأكلوا أموال الناس بالباطل حتى لو كانوا غير مسلمين . لا يحق لكم أن تسيئوا إلى أمن الدولة التي استضافتكم ، لأنكم بذلك تكونون ضيوفاً تسيئون إلى إسلامكم من خلال ذلك. لا تحاولوا أن تثيروا الفوضى في البلد الذي يعيش على النظام)) (٣٤).

انطلق محمد حسين فضل الله في كل ذلك من فلسفة إيمانية تنظر إلى الوجود كله بعين الرحمة والعدل ، ويتطلع إلى أن ينال كل موجود حقوقه من دون أن يقتصر على المطالبة بحق الناس فحسب ، فيقول: ((أنت لست حراً في أن تلوث الهواء ، لست حراً في أن تلوث الماء ، لست حراً أن تلوث الأرض بما يرهق الإنسان والحيوان والنبات وما إلى ذلك ، لأن لكل شيء من هؤلاء حقاً عليك . فلا تظلم الأشياء حقها)) (٣٥).

ومن هذا المنظور الديني الإنساني كان محمد حسين فضل الله يرى أن للضعفاء حقاً ، فوجه جلّ اهتمامه لبناء المؤسسات التربوية والخيرية لرعاية الأيتام والفقراء وذوي الاحتياجات الخاصة (٣٦) فقد كان يريد لهم أن لا يسقطوا أمام نقاط ضعفهم ، وأن يحولوها إلى نقاط قوة تحفظ إنسانيتهم ، وتحفظ قيمهم واعتبارهم.

آمن محمد حسين فضل الله بحق الاختلاف بين الناس ، ورأى أن الاختلاف سنة كونية حتميتها طبيعة الإنسان الذي خلقه الله حراً ومختاراً ، ورفض التعصب لأنه يفرض عليك العبودية لمن تتعصب له ، ويدفعك للتحيز إلى جانب الظالم إذا كان من جماعتك ضد المظلوم إذا كان من الجماعة الأخرى ، لذا رأى أن التعصب أعمى ، لأنه يغلق عقلك وقلبك عن الآخر فيما الالتزام يفتح بك على الآخر حتى لو اختلفت معه (٣٧). وفي منظوره أن هذا الاختلاف والتنوع الإنساني يشكل نعمة إذا أحسنت إدارته ، وتوقف عند التنوعات القبلية والوطنية والقومية التي تمثل خصوصيات البشر في

دوائرهم المتعددة فقال: ((الله تعالى لم يبلغ خصوصياتنا القبلية أو خصوصياتنا القومية ، وحتى خصوصياتنا الإقليمية واللونية ولكن أراد لهذه الدوائر ألا تنغلق على نفسها ، بل أراد لكل دائرة صغيرة أن تنفتح على الدائرة الأكبر منها .. وهكذا ، حتى تصل إلى الدائرة الإنسانية العامة ، لأن كل دائرة من الدوائر ، وكل قبيلة ، وكل شعب ، وكل قومية ، وكل وطن ، يخترن في داخله الكثير من التجارب المعرفية والتجارب الواقعية)) (٣٨).

ولم يمانع محمد حسين فضل الله في أن يكون الإنسان ابن نفسه وابن حزبه وابن طائفته ولكنه لا يريد أن يكون سجين هذه الأمور ، إنما لا بد من فتح الباب الذي يفتح على كل الناس للحوار والتفاهم. وقد كانت دعوته للشباب: ((لا تعلبوا إنسانيتكم ولتكن إنسانيتكم من الهواء والماء والنور لجميع الناس)) (٣٩). وفي موقع آخر يقول للإنسان: ((كن كونياً في فكرك ولا تلعب فكرك ، كن كونياً في إنسانيتك ، وعند ذلك تكون إنسان الكون)) (٤٠).

لذلك لم يحمل محمد حسين فضل الله أي عقدة تجاه الآخر المختلف ، هكذا رفض منطق إلغاء وتكفير الآخر رافضاً الذهنية الطائفية والمذهبية ((إن الذهنية الطائفية تجعل الإنسان يستغرق في طائفته ، وبالتالي يستغرق في شخصه من خلال ما يمثله من الطائفية)) (٤١).

لكن يرى محمد حسين فضل الله أن ((مشكلتنا أننا نتحاور بغرائزنا وعقدنا النفسية ولا نتحاور بعقولنا ووعينا)) (٤٢) بغرائزنا .. بعصبياتنا التي هي أنانيتنا .. أنانية الذات والعشيرة والحركة والمنظمة والحزب والطائفة ..

ومن هنا جاء تأكيد فضل الله الدائم على ضرورة ألا نرمي الآخر بكل نعوت الجحود والظلم ، لافتاً إلى أن ((على الإنسان ، أن يتواضع في مسألة الحقيقة ، وأن يعرف أن هناك من يعيش المسألة بغير فهمه وقناعاته)) (٤٣).

كان أهم ما واجه به محمد حسين فضل الله كل الأفكار التكفيرية حين أكد على عدم معصومية أي إنسان مجتهد أو مفكر ما يعني عدم معصومية الفهم ((وهوما يفك فتيل الفكر الإلغائي التكفيري المتعصب ، الذي يقوم على وهم امتلاك الحقيقة دون باقي الناس ، وعلى أن فهماً واحداً للدين يختزل كل الأفهام)) (٤٤).

لقد كان فضل الله في كل القضايا التي ناقشها وبحثها يعيش الإنسانية في عمق صورها ، وقد لا تسمح الفرصة بالإطالة عليها تفصيلاً ، وخصوصاً في دعوته لبناء ما سماه ((دولة الإنسان)) التي يعيش المواطن مواظنيته وإنسانيته بعيداً عن مواقعه الطائفية (٤٥) وكذلك في قضايا المرأة التي كان محمد حسين فضل الله نصيراً لها مدافعاً عن حقوقها مساوياً بينها وبين الرجل في المجالات كافة ، وفي رفض العنف إلا لردّ العدوان ، وفي تبنيّه لقضايا الأمة في الوحدة والحرية وتحرير فلسطين التي دافع عنها ، وهو ما نجده في الكتب كافة ومئات المقالات والمقابلات التي تبين من خلالها كم هذا المرجع إنساناً في المواقف كافة التي أطلقها وحملها والتضحيات التي قدمها.

الخاتمة

حظي التجديد في فكر محمد حسين فضل الله بأهمية كبيرة ، وذلك لحاجة الفكر أن يتجدد وإلى إزالة ما علق به من الخرافات والاضاليل ، وإزالة الحجب عن مقدساته ، وإبعاد المواريث التي يقدها الناس والتي لا تمت الى الدين بصلة ، كما سعى إلى تفعيل الجانب الإنساني من الدين لخدمة الإنسان لأن الدين جاء لخدمة الإنسان ولم يأتي الإنسان لخدمة الدين .

Abstract

When we want to deal with the subject of religion and man in the thought of Muhammad Hussein FadhlAllah, we will be confused from which side we can tackle this subject, because in all the issues he raised and in all the cases for which he worked, religion was his cause as much as the human case is, to the extent that appeared that the meaning can be achieved only when it can achieve the greatest contribution to the alleviation of human pain and the purification of religious thought at all levels of impurities that question the credibility of the human essence of religion in the light of what has been seen in history and witnessed by the present manifestations of racism, abortion, legendary, and mythic glued and stick to religion.

The humanity of Muhammad Hussein Fadhlullah was not presented for political or social consumption, as many of the religions men and sects do as courtesy. But he lived it with concern, existential worry, jurisprudential diligence, hard dialogue, deep criticism, cruel suffering,

and constant struggle in all fields of scientific, intellectual, political, social, and educational life.

In his cosmic vision, Muhammad Hussein Fadhlullah came out of the rule that religion came to serve man in return for those who imagine the opposite, that is, man came to serve the religion to turn into a pagan existence that worship people for his name. Because he saw in religion a call to life as in the verse: (O ye who believe, respond to God and the Messenger if he called you to what make you live) (Al-Anfal, verse 240). As long as religion came to serve life, it came to serve the man who is the title of life. Life is we and it is the integrated life that stores the mind, the will, and the sense of what gives the human address the largest site in this presence by giving him the ability to contain the whole world.

هوامش البحث

- (١) مقابلة شخصية مع السيد جعفر فضل الله نُجل السيد محمد حسين فضل الله ، النجف الاشرف، ٢٠١٥ / ١ / ١٩ .
- (٢) يُنظر : ترحيني ، محمد حسين ، العلامة المرجع محمد حسين فضل الله ومشروع نهضة الأمة ، ص ٩٩ .
- (٣) حمية ، سهام ، المرأة في الفكر الفلسفي الاجتماعي الإسلامي ، دراسة في فكر السيد محمد حسين فضل الله ، ط ١ ، دار الملاك ، ٢٠٠٤ م ، ص ١٦٨ .
- (٤) سورة الرعد : الآية ١١ .
- (٥) فضل الله ، محمد حسين : خطاب الإسلاميين والمستقبل ، ط ٣ ، دار الملاك ، بيروت ، ٢٠٠١ م ، ص ٢٤ .
- (٦) يُنظر : فضل الله ، محمد حسين ، من وحي القرآن ، ج ٩ ، ص ٢٩٨ ، ايضاً يُنظر ، الزبيدي ، سناء عليوي عبد السادة ، العلامة السيد محمد حسين فضل الله ومنهجه في تفسيره من وحي القرآن ، دار الضياء للطباعة والتصميم ، النجف الأشرف ، ط ١ ، ٢٠١٢ م ، ص ٢٤٩ .
- (٧) فضل الله ، محمد حسين ، الندوة ، ج ١ ، ص ٥٣٩ .
- (٨) فضل الله ، محمد حسين : الندوة ، ج ٧ ، ط ١ ، ٢٠٠٦ م ، ص ٥٦٩ .

- (٩) يُنظر : فضل الله ، محمد حسين ، الأصالة والتجديد ، ، مجلة المنهاج ، ، العدد ٢ ، بيروت ، مركز الغدير للدراسات والنشر ، ١٩٩٦م ، ص ٦٦ .
- (١٠) ترحيني ، محمد حسين : العلامة المرجع محمد حسين فضل الله ومشروع نهضة الأمة ، ص ١١٤ .
- (١١) حمية ، سهام ، المرأة في الفكر الفلسفي الاجتماعي الإسلامي ، دراسة في فكر السيد فضل الله ، ص ٢١ .
- (١٢) موقع بينات ، حول رؤية المرجع فضل الله في تجديد الخطاب الديني ، <http://arabic.bayynat.org>
- (١٣) فضل الله ، محمد حسين : الندوة ، ج ١ ، ص ٣٤٠ .
- (١٤) فضل الله ، محمد حسين : خطاب الإسلاميين والمستقبل ، ص ٢٤ .
- (١٥) فضل الله ، محمد حسين ، الندوة ، ج ١ ، ص ٣٤٠ .
- (١٦) فضل الله ، محمد حسين ، تجديد الفكر الديني ، مجلة المعارج ، السنة التاسعة ، الأعداد ٣٦-٣٨ ، المجلد الثامن ، المعهد الثقافي للتخصص والدراسات القرآنية ، بيروت ، ١٩٩٨م ، ص ٤٢ .
- (١٧) اللويمي ، أحمد محمد ، قراءة في المشروع التجديدي للسيد فضل الله (حول الإشكالات النفسية للشخصية الإسلامية ودورها في اذكاء التخلف) ، مجلة الاجتهاد والتجديد ، العدد ٢٠-٢١ ، مؤسسة دلنا للطباعة والنشر ، بيروت ، ٢٠١٢م ، ص ٨٢ .
- (١٨) ترحيني ، محمد حسين ، العلامة المرجع السيد محمد حسين فضل الله ومشروع نهضة الامة ، ص ١١٢ .
- (١٩) محفوظ ، محمد ، السيد محمد حسين فضل الله ، فقيه المفكرين ومفكر الفقهاء ، المركز الاسلامي الثقافي - مجمع الامامين الحسينين ، ص ٧٠ .
- (٢٠) يُنظر ، الموسوي ، شفيق محمد ، الكلام السيد ، ج ١ ، ط ١ ، المركز الإسلامي الثقافي ، لبنان ، ٢٠١٢م ص ١٨ .
- (٢١) سورة الأنفال ، الآية ٢٤٠ .
- (٢٢) يُنظر ، الموسوي ، محمد شفيق ، الكلام السيد ، ج ١ ، ص ١٩ .
- (٢٣) المصدر نفسه ، ج ٣ ، ص ١٨ .
- (٢٤) المصدر نفسه ، الصفحة نفسها .
- (٢٥) المصدر نفسه ، الصفحة نفسها .

- (٢٦) الموسوي ، الكلام السيد ، ج٢ ، ص١٠٧ .
(٢٧) سورة الإسراء ، الآية ٧٠ .
(٢٨) سورة البقرة ، الآية ٣٠ .
(٢٩) يُنظر ، الموسوي ، الكلام السيد ، ج٥ ، ص٤٦ .
(٣٠) مجموعة باحثين ، أنسنة الدين ، اعمال المؤتمر الفكري الثاني الذي انعقد في بيروت ، ط١ ، المركز الإسلامي الثقافي ، لبنان ، بيروت ، ٢٠١٥م ، ص٢٨ .
(٣١) مجموعة باحثين ، أنسنة الدين ، اعمال المؤتمر الفكري الثاني الذي انعقد في بيروت ، ، ص٢٩ .
(٣٢) الموسوي ، شفيق ، الكلام السيد ، ج٦ ، ص٣٢٥ .
(٣٣) يُنظر ، المصدر نفسه ، ج٣ ، ص٣٠ .
(٣٤) المصدر نفسه ، ج٦ ، ص٣٦٦ .
(٣٥) الموسوي ، شفيق ، الكلام السيد ، ج٦ ، ص٣٧ .
(٣٦) موقع بينات ، السيرة الذاتية للمرجع فضل الله . www.arabic.bayynat.com .
(٣٧) يُنظر ، الموسوي ، شفيق ، الكلام السيد ، ج٦ ، ص٢٩٨ .
(٣٨) المصدر نفسه ، ج٢ ، ص٧ .
(٣٩) الموسوي ، شفيق ، الكلام السيد ، ج٣ ، ص١٠٢ .
(٤٠) المصدر نفسه ، ص٣٥ .
(٤١) المصدر نفسه ، ج٣ ، ص٤٤ .
(٤٢) المصدر نفسه ، ج٢ ، ص١٠٥ .
(٤٣) المصدر نفسه ، الصفحة نفسها .
(٤٤) مجموعة باحثين ، أنسنة الدين ، اعمال المؤتمر الفكري الثاني الذي انعقد في بيروت ، ص١١ .
(٤٥) المصدر نفسه ، ص٢٧ .

قائمة المصادر والمراجع

- (١) الترحيني ، محمد حسين ، العلامة المرجع السيد محمد حسين فضل الله ومشروع نهضة الامة ، ط١ ، دار المحجة البيضاء ، بيروت - لبنان ، ٢٠١١م .
(٢) حمية ، سهام ، المرأة في الفكر الفلسفي الاجتماعي الإسلامي ، دراسة في فكر السيد محمد حسين فضل الله ، ط١ ، دار الملاك ، ٢٠٠٤م .

(٣) الزبيدي ، سناء عليوي عبد السادة ، العلامة السيد محمد حسين فضل الله ومنهجه في تفسيره من وحي القرآن ، دار الضياء للطباعة والتصميم ، النجف الأشرف ، ط١ ، ٢٠١٢م.

(٤) فضل الله ، محمد حسين ، الندوة، ج١ ، سلسلة ندوات الحوار الاسبوعية بدمشق، ط٥ ، اعداد عادل القاضي ، دار الملاك ، بيروت ، ١٩٩٨م .

(٥) ج٧ ، ط١ ، ٢٠٠٦م .

(٦) من وحي القرآن ، ج١ ، ط٢ ، دار الملاك ، بيروت - لبنان ، ١٩٩٨م.

(٧) فضل الله ، محمد حسين : خطاب الإسلاميين والمستقبل ، ط٣ ، دار الملاك ، بيروت ، ٢٠٠١م .

(٨) فضل الله ، محمد حسين ، الأصالة والتجديد ، ، مجلة المنهاج ، العدد ٢ ، بيروت ، مركز الغدير للدراسات والنشر ، ١٩٩٦م.

(٩) فضل الله ، محمد حسين ، تجديد الفكر الديني ، مجلة المعارج ، السنة التاسعة ، الأعداد ٣٦-٣٨ ، المجلد الثامن ، المعهد الثقافي للتخصص والدراسات القرآنية ، بيروت ، ١٩٩٨م .

(١٠) اللومبي ، أحمد محمد ، قراءة في المشروع التجديدي للسيد فضل الله (حول الإشكالات النفسية للشخصية الإسلامية ودورها في اذكاء التخلف) ، مجلة الاجتهاد والتجديد ، العدد ٢٠-٢١ ، مؤسسة دلنا للطباعة والنشر ، بيروت ، ٢٠١٢م .

(١١) مجموعة باحثين ، أنسنة الدين ، اعمال المؤتمر الفكري الثاني الذي انعقد في بيروت ، ط١ ، المركز الإسلامي الثقافي ، لبنان ، بيروت ، ٢٠١٥م .

(١٢) محفوظ ، محمد ، السيد محمد حسين فضل الله ، فقيه المفكرين ومفكر الفقهاء ، ط١ ، المركز الاسلامي الثقافي ، بيروت ، ٢٠١١م.

(١٣) الموسوي ، شفيق محمد ، الكلام السيد ، ج١ + ج٢ + ج٣ ، ج٥ ، ج٦ ، ط١ ، المركز الإسلامي الثقافي ، بيروت ، ٢٠١٢م.

(١٤) موقع بينات ، السيرة الذاتية للمرجع فضل الله . www.arabic.bayynat.com .

(١٥) موقع بينات ، حول رؤية المرجع فضل الله في تجديد الخطاب الديني ، <http://arabic.bayynat.org> .